

الصوت المضاد وتفكك الذات العربية^١

رواية حكاية العربي الأخير ٢٠٨٤

لواسيني الأعرج: رؤية نقدية

أ : خولة عبيسي الجزائر

باحثة، جامعة قلمة

مخبر الدراسات اللغوية و الأدبية، الجزائر

الملخص

إن جملة التغييرات التي طرأت على العالم العربي المعاصر شهدت أزمات عديدة في كافة مجالات الحياة سواء الاجتماعية أو الثقافية أو السياسية، وأدت بذلك إلى شلل ملحوظ في وتيرة الإنجازات وفي تطور المنظومة الفكرية و المادية في تشكل المجتمع ، تميز العالم بنظرة معاصرة نحو عالم جديد يتسم بقيم جديدة تسعى إلى تغيير الواقع إلى الأحسن ، فكانت الرؤية عالمية نحو إعادة قراءة النص الديني والانتقال إلى ما هو مشترك بين المجتمعات لتغذية القيم العالمية ولذلك تتجه دول العالم إلى مسار جديد يحكمه نظام عالمي جديد ما بعد كولونيالي ، تغذية العلاقات المتعارضة ، المركز/الهامش ، الأنا/الآخر ، العربي /الغربي كلها خطابات تشغل عليها مرحلة المابعد كولونيالية .

سنحاول من خلال المداخلة التطرق إلى أبرز المشكلات الأساسية التي عرقله التطور الفكري للعالم العربي مبرزين دور النهضة الحضارية في تشكل الرؤية الوجودية و التنمية الاقتصادية بالإسناد على تطور المنظومة الفكرية للعقل العربي ، كما سنقدم رؤية نقدية حول رواية العربي الأخير ٢٠٨٤ للكاتب الجزائري واسيني الأعرج مبرزين ذلك الصوت المضاد في عمق الرؤية السياسية للكاتب ومعالجتها لمسألة الهوية العربية و تأزمها بفعل الهيمنة الكولونيالية الجديدة. فكيف صور الكاتب واسيني الأعرج الرؤية الاستشراقية للعالم العربي في ظل التحولات التي يشهدها العالم المعاصر؟
الكلمات المفتاحية: العربي الأخير 2048، المابعد كولونيالية، أزمة الحضارة العربية.

ما يشهده العالم من تحولات سياسية واجتماعية وثقافية، نتيجة حتمية لثورات قادها الربيع العربي بأيادي لا نعلم من وراءها ولكن ما هو واضح على الصعيد الدولي، يبرز أهمية اليد الخفية في مخاض الدول العربية الذي كان نهايته دمار شامل للمنظومة الفكرية الثقافية والاجتماعية و سيرورة نحو التلاشي للمعتقدات الدينية تحت ما يسمى المشترك.

لقد تناولت الرواية العربية المعاصرة مختلف القضايا التي تحاكي في مضامينها، التسلسل التاريخي في انهزاماتنا البطولية التي لا تؤسس أصلاً إلى نموذج البطل بعكس ما تثبته دائماً فالتاريخ يصنعه و يكتبه الأبطال و الفاعلين فيه و صناع أحداثه، في حين أن الكتاب يتصنعون أبطالاً من وحي الخيال و يناقشون قضايا تنبع من عمق المجتمع، تختلف الرؤى النقدية في قراءتها للوضع الراهن في المجتمعات العربية ولعل أبرز الدراسات التي تميز ذلك هي التي تركز على القراءات المنفتحة على النسق الثقافي وآليات الحفر الأركيولوجي في عمق الخطاب الروائي لاستنطاق النص برؤية نقدية ثقافية.

تهدف هذه الورقة البحثية إلى تقديم قراءة نقدية للرؤية السياسية في رواية حكاية العربي الأخير ٢٠٨٤ انطلاقاً من مراجعة القضايا التي تهتم بالتاريخ و الهوية في النص الروائي ومساءلة الذات العربية في ظل الأزمات الجيوسياسية، وكيف تخطط الدول الإمبريالية إلى تفكيك العقل البشري العربي بتجاوزها للكولونيالية إلى مرحلة الما بعد الكولونيالية ، فكيف صور الكاتب واسيني الأعرج الرؤية الاستشرافية السياسية للعالم العربي في ظل التحولات التي يشهدها العالم المعاصر؟

أولاً: عالم الأفكار بين الرؤية الحضارية و التأثير الغربي:

تأزم الفكر والانهار بالآخر

يعيش المجتمع العربي فوضى من الحداثة المعطوبة، فالتكفير بها ليس مفاجئاً و إنما العمل بها متوقف عند حاجات واستثناءات تدعم الفكر الديني يقول محمد بنيس: «العطب الذي قادنا إلى هذا المأل ثقافي و من طبيعة ثقافية...يبدأ العطب من التعليم، أي مضامينه، و طرائقه، ثم يمتد إلى السلطة و المؤسسة بالمعنى الأوسع لكل منهما في الحياة الاجتماعية و السياسية و الثقافية إنه المشترك»^١.

وهذه القيم التي ذكرها محمد بنيس كلها مشتركة بين العالم الغربي والعربي

فالتخلف التقني في التعليم ينتج جيلاً متخلفاً تقنياً، و السلطة تنتج لنا سلطة فاسدة وشعب ثائر ضد مطالبه، فالمطلوب من قبل الأنظمة هو الوعي بالمعرفة والحرية في إنتاج جيل يتمتع برؤية معلوماتية و تقنية في ظل تدهور الوضع الفكري الإنساني وخاصة في فترة ما بعد الجائحة ٢٠٢٠، العالم يعاني من نكسة كونية و على الطبقة الواعية أن تتعلم كيف تتخلص من آثار الأزمات النفسية على الوعي الإدراكي للفرد في المجتمع.

تعمل الحرية على تعرية بعض السلوكيات الخاطئة في المجتمع لكن في الوقت ذاته تساعد في كشف الأنساق المضمرة للمؤسسات الفاعلة في المجتمع و للفرد بشكل خاص فالحق في المطالب الدنيوية حق والجهل بذلك ظلم، ولهذا وجب المساواة والعدل في المطالب بين الجنسين في توفير مبدأ تكافؤ الفرص وهذا ما يقوم عليه النظام العالمي الجديد أو (الكولونيالية الجديدة) في خلق تأسيسات جديدة تحكمها مبادئ و قيم متغذية بأفكار النزعة الإنسانية و المساواة في الحقوق ونشر السلام في العالم، ولكن الممول الوحيد هو الفكر الإمبريالي الذي يسعى من خلال كل التأسيسات الخادعة إلى خلخلة موازين القوى في العالم العربي فبعدما كان هو النظام الواحد في السيادة سيظهر نظام ثاني بنفس التأثير و الفكر يحكم العالم العربي و يتأسسه تحت مسمى ثنائية التمركز حول العالم .

تزامناً مع الثورات في العالم العربي وانهيار القاعدة التأسيسية للمنظومة العربية التي أطاحت بقادتها توالى الخسائر و تراجعت الحروب بالسلاح وكما توقع العديد من الدارسين و الباحثين ، «أن بعد انتهاء الحرب الباردة ستنطفئ بؤر الصراع في العالم وعلى مستوى العلاقات الدولية و أن الانشغال الجديد والمعاصر يقوم على شكل تجمعات قارية تحت شعار يجمعها السلام و التنمية و العمل على المشترك المزعوم الذي يدعي بتقارب الأديان و المذاهب و الثقافات انطلاقاً من وحدة الجنس البشري فالإنسان إنسان»^٢، يسعى الغرب من خلال ذلك إلى فكرة المساواة انطلاقاً من مبدأ الإنسانية الجمعاء وهي عدم التفرقة بين الأشخاص سواء من خلال اللون، الدين، الجنس، وهذه الإنسانية التي يدعون بها عكس ما يفسرها بعد النقاد و المفكرين في العالم العربي فالغرب ينطلق من فكرة إنسانية واحدة، أي نموذج أحادي وكما يفسرها الناقد و المفكر المصري عبد الوهاب المسيري هي عملية مساواة تنتهي إلى تسوية البشر الواحد بالآخر مما يلغي كل الخصوصيات بل و الأبعاد المركبة و يصبح الإنسان الغربي هو المثل الأعلى و النمط الكامل و على الجميع أن يقلدوه و يلتحقوا به **pradigm**

unilinea وهذه المقولة يقوم عليها النظام و الفكر الإمبريالي المعاصر أو الكولونيالية الجديدة حيث يسعى إلى خلق نموذج مشترك في العالم العربي يرتكز على مقوماتها أساسها التكنولوجيا و الدين المشترك ، عكس ما نادى به المسيحي فهو يرى أن الإنسانية المشتركة تنطلق من مفاهيم إسلامية يقول الرسول صلى الله عليه وسلم «لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ إِلَّا بِالتَّقْوَى» فهنا يؤكد على فكرة المساواة لكنها تقابل الاختلاف ، فالعربيُّ عربيُّ و العجميُّ عجميُّ ولكن ما بينهما معيار يتجاوز كلاهما هو «التَّقْوَى» ، فحسب ما ينادي به المسيحي هو أن الإنسانية المشتركة تدعو إلى التخلي عن المعتقد السائد و أنّ الإنسان ليس بكائن مادي مشيراً إلى التخلي عن العقلنة الغربية التي حوّسّلت الفكر العربيّ وأنتجت نماذج ماديّة يسيّرهما العقل و الفكر المادي .

نجحت الأنظمة الاستيطانية الفكرية في غرس القيم المادية من خلال مقاييس علمية تحددها التقنية وتخص المجتمع و مؤسساته فالفعلُ الغير المباشر وسيلة لذلك : الصورة، الأنظمة التربية ، السلطة الرابعة ، الموضة و البريستيج ، البروتوكول وكل ذلك يسعى إلى السيطرة على الطبيعة و البشر...

العقل أصبح أداة لإدارة المجتمع و تجاوز التفكير إلى أعمال المخططات موضحاً ذلك ماكس فيبر « ينكشف كعقل تقني و الأمر يتعلق بالإنتاج و تغيير للمادة الأولية «الأشياء و البشر» ، عن طريق عملي و منهجي»^٣ و من خلال تفسير هربرت ماركوز «أن ما يحدث للعقل في المجتمع العربي هي إرادة سياسية لا تعلن عن نفسها و تسعى الى تحقيق السيطرة على الإنسان»^٤ ، فالواضح من خلال القولين أن العقل العربي انهمر بالتكنولوجيا في عصر الوباء عكس ما كان عليه في ما مضى ، فالغاية واحدة من قبل الآخر هي مصلحة ايديولوجية على حساب التقنية فالسياسة واجهة و التقنية وسيلة و الإنسان و الأرض غاية لهما و الإرادة السياسية تسعى الى تسييس كل المجالات في الحياة من الثقافة الى الاجتماع و التربية و حتى الأنظمة الحياتية أصبحت عبارة عن سياسات يتحكم فيها عقل أدواتي .

ب-ثنائية التمرکز في العالم وتشكل العالم الجديد

يعاني العالم العربي المعاصر من ازدواجية الفهم و التعامل مع منطلقات الحياة العامة فالمفكر علي حرب مثلاً يتكلم عن العلاقة المتحوّلة التي تصيب الإنسان المعاصر و يطرح سؤال : هل نحنُ حقاً مع الثوابت أوفياء للقيم التي تدعي المحافظة عليها؟

الفكر العربي يعيش تناقضاً بين ما هو ثابت و متحول نتيجةً للتشتت التكنولوجي و التفاعل الميداني في العالم فكما يقول علي حرب «نتذرع بالثوابت لمصادرة محاولات الإصلاح و التهرب من استحقاقات التغيير و التطور، وندعي التماهي مع الأصول و لا نحسنُ سوى انتهاكها و الابتعاد عنها و أي تغيير كان شكله أو حجمه إلا ويمس العلاقة بالثوابت بصورة من الصور»^٥، وكل هذه النقاط تؤثر على طبيعة العلاقة بالإنسان مع الثوابت باعتبارها الركيزة نحو الأمام و المنطلق نحو السلام، بإعادة قراءة النص الديني بتأويل جديد يتماشى مع المصالح الدولية العظمى وهذا ما تحاول المصرية الدكتورة هبة جمال الدين الباحثة في العلوم السياسية قوله أن الاتفاقيات الجديدة تدعو الى « إعادة قراءة النص الديني و إعادة تأويله، و حسب المعترف أنه كل دين ينفي الآخر/ إلا الاسلام يعترف بالثلاثة ديانات و المسيحي يعترف باليهودية و اليهودي لا يعترف بأي دين فالمشترك يبقى بين الأديان الثلاثة، ثم يعتمدون على القيم المشتركة و وضعها في الخريطة السياسية من خلال تجميع رجال الدين مع الساسة و الدبلوماسيين في حلقات اسمها *trraqtou diblamoussi* أو المسار الثاني الدبلوماسي»^٦ تعني تفاوض غير رسمي بعد التفاوض و التحول إلى رسميات وزارة الخارجية، رغم أن الاشتغال السياسي ليس مباشر لكن هناك تنسيق مع الدولة لمعرفة سقف التفاوض، و في مضمون حديثها أن الذي اتفقوا عليه رجال الدين و الساسة و الدبلوماسيين والذي اتفقوا عليه رجال الدين يأخذوه رجال الساسة و يضعونه على الخريطة السياسية، و يبدأ الكلام الشعوب الأصلية يجب إعطائها الحق السياسي على الخريطة السياسية من خلال المشترك الإبراهيمي للديانات الثلاثة، يعني المرجعية الأساسية هي الكتب المقدسة .

إنَّ العمل المشترك هنا منتجٌ لفاعلية و أقرب لتفكك الفكر الانفرادي المتمركز حول الواحدية الإمبريالية و تجاوز ذلك إلى ثنائية إمبريالية تحكم العالم من منطلق الثنائية المركزية و تقسيم العالم وفق المصالح الكونية.

إنَّ ما تعمل عليه الدول الإمبريالية هي تكريس الشركات المالية التي تؤثر على الأداء و الرخاء الاقتصادي من خلال النفوذ المالي و الإعلامي و «مراكز الضَّغط المتمثلة في Lobby وذلك تماشياً مع أجندتهم حيث تعمل على تهميش دول العالم الثالث و تهيمن على الشركات و تحول الثروات من الدول الفقيرة الى الدول الأغنى و تحول أموال الأغلبية إلى الأقلية»^٧.

وهذا ما نشهده في عالمنا العربي حيث أن بعض الدول في المرحلة الأخيرة تعاني

من نقص عام في السيولة و الاهتمام العام (الشعبي) لا يهتم بالتفاصيل بقدر ما يهتم بالأوضاع المعيشية فقط.

النظام الاستعماري الجديد يعمل بطريقة ذكية في تشتيت المجتمع على حساب لقمة العيش ففكره امبريالي وتخطيطه تفكيكي ، فبعدهما قيد الإنسان العربي اتجه إلى خطط جديدة تشتت المنظومة العربية .

النظام الإمبريالي أجهض للعالم العربي نظاماً جديداً ثانوياً ليتحكم فيه ، نتساءل هنا: هل بعد ما كانت الدولة العظيمة الإمبريالية تقود العالم العربي في صورة التبعية الاستيطانية، هل بهذا الاتفاق سلمت المشعل للوريث الشرعي الكيان الصهيوني؟ أم أن نهاية التاريخ التي تكلم عنها فوكوياما تجاوزت المعنى الحقيقي إلى المجازي وبذلك سيادة النموذج الأمريكي بصهر الأديان تحت ما يسمى الدين الجديد ، وسيطرة المشترك في العالم هذا الأخير تبنى فكراً مغايراً فالنهاية مجازية تعلن أن العالم بدأت تحكمه مبادئ و قيم جديدة تُعنى بنهاية القديم ، نهاية العهد التقليدي والتراثي، وتجاوز كل ذلك إلى عالم معاصر يُقوض الأصل الثابت ويحتفل بالجديد المتحول ، فالعالم المعاصر تختلف وسائله و لم تعد كافية للتحديات الجديدة التي يفرضها المجتمع.

ثانياً: قراءة في رواية واسيني الأعرج حكاية العربي الأخير ٢٠٨٤

يقدم لنا واسيني الأعرج من خلال الرواية رؤية استشرافية للعالم العربي ووقائع وتحولات التي يشهدها وسط عالم متسلط ويصّور المآل الذي وصل إليه العرب بعد أن تفككت بسبب صراعات طائفية وسياسية هذا الفكر الذي يعتمده واسيني الأعرج في رؤيته الاستشرافية يعتمده الأدب العربي المعاصر ويسمى أدب النهايات «أدب الرؤى» ومثلت رواية «٢٠٢٣» للأديب مجال سارنا منحى غيبيا في التنبؤ لمجتمع اسرائيل بالزوال في ٢٠٢٣ ، ويسمى أيضاً بالفكر الأبوكاليسي والتأمل الإسكاتولوجي يؤمن بمبدأ أن نهاية العالم شيء غيبي يعلمه إلا الله، ولكن نهاية بعض الشعوب شيء حتي فكيف سيتحقق ذلك ؟

أبوكاليس باليونانية ποκάλυψις : رفع الغطاء هي عبارة تدل على إعطاء أشخاص مختارين أشياء خفية لمعظم البشر المصطلح الدارج لها عند العرب هو «كشف الحجاب». تدل الكلمة اليوم عادة على نهاية العالم وهي اختصار عبارة تعني كشف نهاية العصر

Apocalypse: ocalypse , nom fémininSens

1:Fin du monde. Traduction anglais : apocalypseSens

2:Catastrophe qui évoque la fin du monde par son ampleur^٨

apocalypse : الكشف عن الغيب عن طريق الأحلام و الرؤى و الغيبوبة وتستخدم للإشارة للكتب الدينية التي تحتوي على مثل هذه الرؤى مثل :_ سفر دانيال_وقد ظهرت عدة كتب أبوكاليسية في القرون الأولى بعد مولد المسيح.^٩

التأمل الإسكاتولوجي

Doctrine relative au jugement dernier et au salut assigné aux:eschatologie fins dernières de l'homme, de l'histoire et du monde. Les vieilles traditions orientales d'apocalypse et de descente aux enfers, conservées dans l'eschatologie¹⁰.musulmane -Civilis. écr.,1939, p. 3003

وهذا المصطلح يتجلى في أنه يبرز العقيدة المتعلقة بالدينونة الأخيرة و الخلاص المخصص لأهداف نهائية للإنسان و التاريخ و العالم، التقاليد الشرقية القديمة لنهاية العالم و النزول إلى الجحيم المحفوظ، يوظف الأدب العبري المعاصر منهج التأمل الإسكاتولوجي هذا لأن معظم المفكرين يؤمنون أنه لا حل للمسألة الصهيونية عن طريق التدرج التاريخي«الإستنارة»^{١١} أو الاندماج أو الثورة الاجتماعية و إنما يجب أن يتم الآن و تنتهي.

تدور أحداث الرواية حكاية العربي الأخير ٢٠٨٤ حول صراع قطبان أساسيان هما:

- تحالف أميروبيا (amereupa)والذي تمثله كل من : الولايات المتحدة الأمريكية و أوروبا.
- تحالف اروشينا (Iran-Russie-la chine): روسيا، الصين، ايران
- وأربيا (قبائل أرابيا)، قبائل العربية أوتا(uta) بوصفها مركز الحدث الأسامي.

تدور الأحداث في قلعة أميروبا الواقعة في مكان استراتيجي في عمق الربع الخالي حيث، يقيم بها آدم غريب وهو الشخصية الأساسية في الرواية عالم فيزيائي في النووية من أصول عربية و يحمل جنسية أميركية اختطف من قبل العملاء و يمثل بدوره الأمل العربي في صناعة الحلم وهو نهاية الحرب.

يعمل آدم أو كما يسميها أصحاب القلعة أميروبا -العربي الأخير- على صناعة القبلة النووية «قبلة الجيب النووية»، مشروع بوكيت بومب المزدوج (PBPul –PBp2)»^{١٢}، ليتم استخدامها ضد جماعة متطرفة تعرف باسم (التنظيم).

يعيش آدم (العربي الأخير)، صراع ذاتي وقلق وجودي فهو في حالة تأزم إثر ما عايشه من حالة اختطاف ومصير العالم بين يديه، فهل سينقذ البشرية من أزمة الحرب، أم أن الغرب (تحالف أميروبيا) سيتعامل مع التجربة النووية كسلاح ضد البشرية.

تقاطع الرواية في حيكتهما مع رواية جورج أورويل ١٩٨٤ تمثل بدورها الذكرى المئوية لمولد الشخصية الجد بيغ بروزر وتصور ذلك الصراع التاريخي بطريقة ابداعية وجمالية ويبقى للباحثين دورهم في تأويلهم لرمزية العنوان وتطابقه مع واسيني الأعرج فهي « مرجعية تخيلية استعان بها الكاتب لما قدمه جورج بعد الحرب العالمية ٢ وما خلفته من دمار شامل وتفتت للهويات وتكسير للمركزيات»^{١٣}، هذا التقارب الإيديولوجي والفكري يخلق ازدواجية في طرح القضايا، يكشف عن العقل الواعي بمصير الأمة العربية بنظرة استشرافية .

أ-المابعد كولونيالية وسرد التاريخ

جسد واسيني الأعرج الأحداث بتسلسلها وفق تسلسل التاريخ، كما اعتمد على وقائع وشخصيات وأحداث تاريخية وعالمية وعربية إسلامية مع تكثيفه للدلالة الرمزية في عملية السرد التاريخي لذلك، يستهل «قلعته الروائية بنفس العبارة التي كانت في مدخل القلعة أميروبا ، مضمونها قتل الإنسان والهوية العربية وتقويض الصوت النابض للحرية «العربي الجيد الوحيد هو العربي الميت»^{١٤}.

تستند العناصر السردية في تصويرها للرؤية الإنسانية الجمعاء ، وتعالقها مع التاريخ العربي حيث أنها تشكل سرداً واعياً بوقائع تاريخية تشتغل على سياقات أنثروبولوجيا تفاعلية تعترف بالمعرفة والهوية في تشكيل الذات الإنسانية وأن أساس السلطة حسب تفكير فوكو» متأصل في العلاقات الاجتماعية وأنها على ارتباط بواقع المجتمع، المعرفة، السلطة، اللغة، الكتابة»^{١٥}.

الكاتب واسيني الأعرج صور تأزم الفكر العربي و تمزق الذات وانشطارها بين التعاملات السياسية السرية في المجتمع العربي فبعد سنين طوال من الاحتلال و

العبودية و الاستعمار وجد العربي نفسه يعيشُ فوضى التوقعات وصراع الوعي الجمعي «يسحبون السيوف والسكاكين بعضهم على بعض ويحرقون الدبابات المتبقية من الزمن الماضي من حرومهم ويمحون آثارهم ، منتصرين كانوا أو مهزيمين ، آدم مسكين لا يعرف أن عصرًا انتهى وحل زمن آخر»^{١٦}، إن هذه التحولات في العالم العربي تكشف عن هوية الكائن التاريخي الذي يتخبط في صراع تاريخي حضاري ويخضع لسيرورة الزمن ، فالحركة هي تفعيل لتلك التظاهرات المختلفة لحالة الصراع الذي يعيشها البطل ، فيجسد الكاتب جمالية الانتقال من العالم العربي إلى العالم الغربي وتبرز التناقضات في تمفصلات الوعي والايديولوجيا للبطل آدم.

فآدم هو بداية الخليقة و مصير الإنسان فلسفة الاسم فقط تثير الكثير من القضايا فتوظيف دلالة آدم تحمل شفرة لفك لغز العالم و صناعة القنبلة الموعودة، آدم يمثلُ بشاعة الوعي في استنطاق الضمير الغائب ، الفوضى الوجودية وتفكك الذات و تشظي الكينونة، «إذا كانت الكولونيالية تستعرضُ قواها العسكرية و الحضارية للاستغلال الهوية الوطنية المستعمرة ، فإن المابعد الكولونيالية وظفت طاقتها الثقافية و الحضارية لممارسة التفكيك والهدم و تقويض الثقافة المحلية بكل ما تملكه من آليات مادية ومعنوية وثقافية وسياسية»^{١٧}.

الكولونيالية: الاستغلال / التسلط / التبعية / استهداف الإنسان.

المابعد كولونيالية: التفكيك / الهدم / صراع الإنسان مع أخية / استهداف عقل الإنسان. لقد حملت الرواية بعداً رمزياً سياسياً يتخذُ من المقولات (الشعارات) عتبة للانفتاح على نص جورج أرويل ، فكانت تنطلق من كشف الإمبريالية العالمية و النظام العالمي الجديد الذي يتخذ من وسائل الهيمنة سلاحاً لصوت التابع الاستعماري ، فعملوا على قتل صوت الأصل و إعلان مركزية الهامش من خلال الموقع الذي لعبه آدم في الرواية فدلالة الاسم تحمل ثنائية متعارضة آدم/غريب ، آدم أصل الوجود الإنساني و غريب ، غريب في قلعة اميروبيا التي استغلته لمصالح سياسية وخاصة.

ب-صراع الذات و تفكك الإنسان

صور الكاتب في عمق الرواية تلك الحروب و النزاعات التي شكلت بؤرة صراع وهاجس العربي في مواجهة الآخر، فبعدما قيدته الحرب وتوالت الخسائر في دولنا

العربية وبعد نهاية الحرب البشرية ، يأتي كما يقول الكاتب «نهاية زمن وبداية زمن آخر إنسان الشريحة»^{١٨} تبدأ حرب بثوب جديد وهي الحرب البيولوجية ويبقى العربي فأر تجارب لحقول بيولوجية غريبة ولن تنتهي مأساة العربي فهو « يعيش في عصر لا ينتمي إليه ، لا من حيث التظاهرات الخارجية التي يكتفي باستهلاكها ، بل من حيث أنه كائن لا تاريخي رغم ادعائه الانتماءات التاريخية ، لأنه لا يتواكب ثقافياً و انطولوجياً ومعرفياً و حضارياً مع تطورات المراحل التاريخية»^{١٩} ، هذه الرؤية السياسية التي صورها واسيني الأعرج في عمق كتابته توضح للقارئ أن العربي مزال حبيس تراثه ، يعاني صراع بين التاريخ و الحاضر وهذه مشكلة من مشكلات العربي «أينما وضعتهُ سيمكثُ في ظله الأول»^{٢٠} ، فرغم التطور التكنولوجي الذي يعيشه العالم المعاصر إلى أن القيود المجتمعية تجعلنا نتوقع حول بؤرة واحدة ، ومحاولة التجديد أو الخروج عن ذلك النسق تعتبرُ كسر للمألوف وتجاوز للأعراف والتقاليد في المجتمعات العربية.

الفكر متأزم وسببه الكولونيالية الجديدة ، فهي تستعين باليات وتدابير أكثر ذكاء ومن خلال خطاب ليتل بروز بمناسبة الذكرى المئوية لجده بيغ بروز «هناك أمم لا تصبح مفيدة إلا عندم تتحول إلى رماد ، نحن من يمنحها فرصة الخروج من رمادها» ، يكشف من مفاد هذه المقولة في الرواية أن الجد الكبير كان يمثل ثمة الكولونيالية الامبريالية في تحطيم روابط العالم وكانت وسائلها أكثر بشاعة من الكولونيالية الجديدة التي تعتمد على الهيمنة و العمل بسرية وبخطط تجاوزت التبعية ، فالصراعات لن تنتهي هكذا بل ستدوم أجيال وستبقى الطريدة النموذجية كما هو حال «صراع آرابيا (arabia) وآزانيا (asaria) صراع المائة سنة»^{٢١} ، هدفهم خلق صراعات داخل المجتمع العربي و العمل على تفكيكه إلى منظمات أشبه بأقليات عدائية فنجحوا في إقامة الضغينة بين هيكل آرابيا وأصبحت عبارة عن آرابيات ، شيعة وسنة ، دروزو وأرمن ، أكراذ و أمازيغ ، لم يعترف لهم بأي حق «^{٢٢} وكلهم داخل الوطن العربي من أجل العمل على تمزيق الهوية العربية باستخدام الفتن الطائفية و الحزبية أيضا.

إن هذا الإضطهاد الذي يعيشه الآرابي من قمع و طمس للهوية ، مؤكداً الكاتب في ثنائيات أخرى و كأنه يحاول أن يربط علاقة العالم العربي بالآخر الأمريكي ، وقابله الثاني بالتعددية الثقافية في المجتمع الأمريكي «فهي أساسه ، معنا آرابيون كثيرون في مخابرننا و مخازننا هم منضبطين ، كما الهنود الآسيون و اللاتينو و الإيرلنديون وغيرهم ، هذه التعددية تصنع أمريكا»^{٢٣} ، مبرزاً أن العالم عبارة عن تكتلات متفرقة يجمعها

نظام امبريالي واحد يحكم الأقليات فمثل ما تصنعُ الطائفية العالم العربي ، فأمریکا تصنعها التعددية الثقافية ، و أمريكا بذلك هي «التاريخ المشترك»^٤، يتحدث مالك بن نبي عن فكرة قابلية الاستعمار للإنسان العربي ونقده للوضع المتأزم الذي يعيشه العقل العربي موضحاً «أن المشروع الحضاري انقلب الى بوليتيك، تضم الزعامات ولا تهتم ولا تكثرث ببناء الحضارة انطلاقاً من الإنسان ثم الدولة ثم الأمة ، لقد انجز على ذهنية متعفنة ساهمت بكثير في فتح أبواب القلعة أمام المستعمر ليعشش فيها»^٥، إن النظام الفكري الغربي يقوم على مقولات تعمل على تهشيم العقل العربي وتفكيكه ومحو ذاكرته التاريخية وخلق بؤر صراع أساسها الحروب الطاحنة بين الطوائف و الشعوب ، فتتفكك بذلك ويغيب المنطق «أصبحنا داخل عالم يموت وأصبحت داخل آرايات متقاتلة، عندما يغيبُ العقل يحل محلهُ الجنون ثم العدمية»^٦، إن هذه الجدلية التي تروي الذاكرة داخل النص الروائي تستحضرُ بشاعة التاريخ الحضاري التي شوّهه الغرب ، وتصور تفكك العالم العربي و تنزلهُ من قداسة الذاكرة بمعجم لغوي سياسي يفضح التعاملات و الصراعات الدائمة في المجتمعات العربية و الطوائف:

- صراع السنة و الشيعة
- صراع الدروز و الأرمن
- صراع العرب و الأمازيغ و الأكراد

كلهم هوامش ضمن المركز الوطن العربي ، نسقُ يبرز ثنائية التعارض الدلالي في الاحتواء و تحقق سرد الذات و الذاكرة الوحشية للبطولات العربية المزيّفة تحت توقيع الآخر المستبد.

خاتمة

النموذج الجديد للكولونيالية يتخذ من مفاهيم ومرتكزات أساسية لبناء عالم معاصر ونظام عالمي جديد يقوم على فصل الإنسان العربي عن تاريخه وتزوير هويته ، تعمل على تفكيك الذات الإنسانية وإعلان موت القضايا العربية ، تحت المشترك العام وكان الدور للمنظمات العالمية الرسمية في تحديد مستقبل العالم من خلال دورها الفعّال في قُص النزاعات بين الدول ، فهي تعمل بخطط جيوسياسية تخفّف من حدة الأزمات بإبرام صفقات اقتصادية كانت أو سياسية أو ثقافية ، أو حتى تربية ، تعمل على تغليف الوضع المتأزم و تحويله إلى قضية ترتبط بحلول سياسية بين المنظمات الإقليمية وهو

ما تسعى إليه الدول العظمى تقسيم العالم الى أقاليم تحكمها ثنائية مركزية امبريالية .
لقد نجح واسيني الأعرج في رصد تلك التحولات في العالم العربي برؤية سياسية
ثاقبة، وكانت :

- تكشف عن هوية الكائن التاريخي الذي يتخبط في صراع تاريخي حضاري ويخضع لسيرورة الزمن . وكشفه للتمظهرات المختلفة لحالة الصراع الذي يعيشها البطل فيجسد الكاتب جمالية الانتقال من العالم العربي إلى العالم الغربي وتبرز التناقضات في تمفصلات الوعي والايديولوجيا للبطل آدم.
- واسيني الأعرج في عمق كتابته يوضح للقارئ أن العربي مزال حبيس تراثه ، يعاني صراع بين التّاريخ و الحاضر وهذه مشكلة من مشكلات العربي فرغم التطور التكنولوجي الذي يعيشه العالم المعاصر إلى أن القيود المجتمعية تجعلنا نتفوق حول بؤرة واحدة ، ومحاولة التجديد أو الخروج عن ذلك النّسق تعتبر كسر للمألوف وتجاوز للأعراف والتقاليد في المجتمعات العربيّة.
- مبرزاً أن العالم عبارة عن كتلات متفرقة يجمعها نظام امبريالي واحد يحكم الأقلية فمثل ما تصنع الطائفية العالم العربي ، فأمریکا تصنعها التعددية الثقافية ، و أمريكا بذلك هي المشترك.
- جدلية تروي الذاكرة داخل النصّ الروائيّ تستحضر بشاعة التّاريخ الحضاري التي شوّهه الغرب ، وتصور تفكك العالم العربيّ و تنزله من قداسة الذاكرة بمعجم لغوي سياسي يفضح التعاملات و الصراعات الدائمة في المجتمعات العربيّة و صراع الطوائف و الأحزاب.

الهوامش

- ١ . محمد بنيس :الحدائفة المعطوبة (منشورات سليكي أخوين ،طنجة ، ط٢ ، ٢٠١٢):٠٦ .
- ٢ . محمد العربي ولد خليفة : مقاربات نقدية (دار الخلدونية، الجزائر)ص:٣٧
- ٣ . كمال بومنيير :دراسات في الفكر النقدي المعاصر (ار الخلدونية ، ط٢٠١٧، ١) ص٦١
- ٤ . المرجع نفسه:ص:٦٢
- ٥ . علي حرب :أزمة الحدائفة الفائقة لإصلاح، الإرهاب، الشراكة(المركز الثقافي العربي، المغرب، ط١، ٢٠٠٥) ص:٣٠

٦. <https://youtu.be/pTVuoEPJ٥٤> إبراهيم دين جديد يعيدُ رسم خريطة الشرق الأوسط ،
٧. عبد الحى زلوم : نذر العولمة/فكر سياسي (المؤسسة العربية للدراسات ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٩) ص:٣٥٤
٨. [./https://www.linternaute.fr/dictionnaire/fr/definition/apocalypse](https://www.linternaute.fr/dictionnaire/fr/definition/apocalypse)
٩. عبد الوهاب المسيري : موسوعة المفاهيم و المصطلحات الصهيونية رؤية نقدية (مركز الدراسات السياسية و الاستراتيجية الأهرام ، مصر ، ١٩٧٥) ص٥٦.
١٠. <https://www.cnrtl.fr/definition/eschatolog>
١١. مأخوذة في اللغة العربية من الفعل استنارا المشتقة من كلمة النور وهي ترجمة لعدة كلمات في اللغات الأوروبية مثل إنلايمنت ، ومشتقة من لايت بمعنى النور ويقال فكر الاستنارة أحيانا فلسفة الأنور أو فلسفة التنوير و النور عكس الظلام بمعنى «الاستنارة هي الفكر التشبيه بالنور الذي يبدد الجهل التشبيه بالظلام» عبد الوهاب المسيري :فكر الاستنارة وتناقضه ، نهضة مصر للطباعة، ط١، مصر، ١٩٩٨، ص:٩.
١٢. واسيني الأعرج: حكاية العربي الأخير ٢٠٨٤ (دار الآداب ، ط١٦، ٢٠١٦، بيروت) ص:١٧٧.
١٣. مجموعة من الأكاديمين: العين الثالثة (تطبيقات في النقد الثقافي و مابعد الكولونيالي) (إعداد: حياة أم السعد، تق: وحيد بن بوعزيز، دار ميم للنشر، ط١، ٢٠١٨، الجزائر) ص:٧٤.
١٤. واسيني الأعرج: حكاية العربي الأخير ٢٠٨٤، ص:٥٥.
١٥. توماس ليمكي وآخرون: ماركس وفوكو، تر:حسن الحاج (مجد المؤسسة الجامعية للدراسات ، ط١، ٢٠١١، بيروت ، ص١٠٢.
١٦. واسيني الأعرج:حكاية العربي الأخير(٢٠٨٤) ص١٥.
١٧. عبد القادر فيدوح: النسق الثقافي للكولونيالية الجديدة (في حكاية العربي الأخير)، (لمجلة الجزائرية للدراسات الإنسانية ، العدد١ جوان ٢٠١٩) ص:١٥٤.
١٨. المرجع السابق، ص:٥٨.
١٩. مجموعة من الأكاديمين: العين الثالثة ، مرجع سابق، ص:٧٣.
٢٠. واسيني الأعرج: حكاية العربي الأخير ٢٠٨٤، ص:٢٣.
٢١. المرجع نفسه، ص:٢٣.
٢٢. المرجع نفسه، ص:١٤٠.
٢٣. المرجع نفسه، ص:١٣٩.
٢٤. المرجع نفسه، ص:١٤٠.
٢٥. حيد بن بوعزيز : جدل الثقافة مقالات في الآخريه و الكولونيالية والديكولونيالية(دار ميم للنشر، ط١، ٢٠١٨، الجزائر) ص:٩٥.
٢٦. المرجع السابق، ص:١٤١.